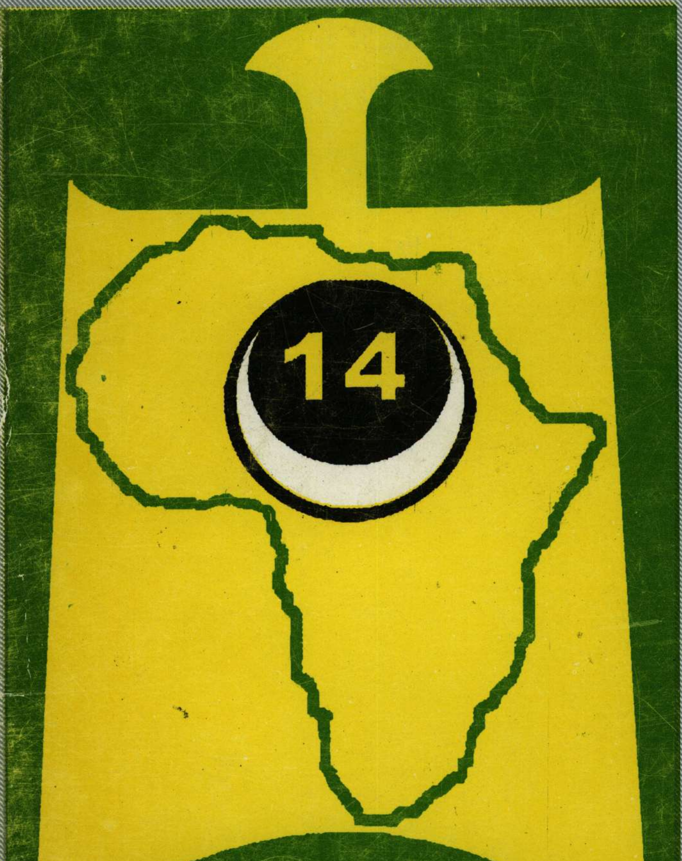
ذكرى مرور أربعة عشر قرناً على دخول الإسلام في إفريقيا

المؤتمر الدولي

الإسلام في إفريقيا

26-27 نوفمبر 2006

6-7 ذو القعدة 1427 هـ



جامعة إفريقيا العالمية

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ليبيا

وزارة الارشاد والاوقاف

الفتوحات الإسلامية في المغرب
واثرها في انتشار الدعوة الإسلامية

د. الفاتح الزين الشيخ ادريس
جامعة الخرطوم – كلية الآداب – قسم التاريخ

إرتبطت فتوح المغرب بحرُكة الفتوح الإسلامية أرتباطا مباشرا فقد كانت وسيلة من وسائل انتشار الإسلام ، لاسيما وقد وجدت الدعوة الإسلامية قبولا لدي أهل البلاد التي قام المسلمين بفتحها ومن ثم قاموا بحمل لواء الدعوة لدي غيرهم من الشعوب الأخري وتحمسوا لها وتأثروا بها بصورة كبيرة .

فالفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب كانت متميزة من عدة مناحي لذلك تناولت في هذه الورقة هذه الفتوح مع تبيان أثرها في انتشار الدعوة ، وحتي تستبين الرؤية بوضوح لابد من معرفة طبيعة البلاد المفتوحة وعناصر الشأن بها ، مع ضرورة معرفة طبيعة الفتوح الإسلامية واهدافها ومراحلها ، ثم متابعة اثرُ هذه الفتوح علي بلاد المغرب في مختلف مناحي الحياة والتي تجلت في إنتشار الإسلام واللغة العربية ، فازدهرت علوم اللغة والأدب – فعرف أهل تلك البلاد فن الغناء وفن الموشحات وعلم التاريخ والجغرافيا والعلوم الدينية وغير ذلك من انواع المعارف المختلفة .

بلاد المغرب وسكانها قبيل الفتح الإسلامي :

مثلت بلاد افريقيا الشمالية – بلاد المغرب – وحدة جغرافية يسكنها البربر " الامازيغ" وقد أطلقت عليها تسميات مختلفة نجد أن الأغريق أطلقوا اسم " ليبو" أو ليبا " أو " توبيا " علي قسمها الشمالي الذي يسكنه البيض

وقابلوا بينه وبين الصحراء بلاد الأحباش السود(1) أما الامبراطورية الرومانية فقد اطلقت عليه لفظة " افريقية " Africa الدالة علي المقاطعة الموافقة لشمال شرقي البلاد التونسية ثم صارت كلمتا إفريقيا وليبيا فيما بعد تعينات القارة باكملها ، أما التسمية الثالثة فهي ما أطلقه عليها العرب القادمون من المشرق الإسلامي وهي جزيرة المغرب ، كما نجدهم قد أطلقوا علي أقصي غرب المغرب For west المغرب الأقصي (3) .

أما المورخ اندرية جوليان فله رأي آخر إذ أنه يري أن تسمية هذه البلاد باسم بلاد البربر أدق في التعبير . لأن سكانها يكاد أن يكونوا في مجموعهم من البربر (4) . أما أهل البلاد انفسهم فقد فضلوا أن يطلقوا علي انفسهم اسم امازيغ أي الرجال الأحرار او النبلاء وقد أطلق هذا الاسم علي قبائل عديدة قبيل الاحتلال الروماني لهذه البلاد (5).

تبلغ مساحة جزيرة المغرب الرباعية الاضلاع حوالي 000ر930 كلم2 يحيط بها مياه المحيط والبحر المتوسط وبها مرتفعات وإن كان أكثر من نصف البلاد لايتجاوز ارتفاعها 800 م . كما توجد بها جبال شاهقة الارتفاع كجبل " تيفال " بالمغرب الأقصي ، إضافة إلي أن بلاد المغرب تشمل كل البلاد الواقعة غرب مصر وتمتد حتي المحيط الأطلسي وتشمل برقة وطرابلس أول المغرب من جهة الشرق (6) . وإفريقية تمثل الولاية الشرقية من مجموع بلاد أطلس وتمتد من خليج سرت الكبير شرقا إلي المحيط الأطلسي غربا ، اطلق عليها العرب اسم المغرب الأدني لقربها من بلاد العرب بالحجاز ودار الخلافة (7) . ويذكر ياقوت الحموي في معجمه أن إفريقية " اسم لبلاد ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية ، وينتهي آخرها إلي قبالة جزيرة الأندلس وجد إفريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والاسكندرية إلي بجاية (8).

ويذكر نقلا عن البيروني – إنها سميت إفريقية لأنها فرقت بين مصر والمغرب ويحدد المراكشي إفريقية من انطابلس برقة شرقا إلي قسطنطينية غربا بما في ذلك طرابلس ، أما المغرب فما بعد قسطنطينية إلي المحيط ، أما المغرب الأوسط فيمتد من مدينة تامرت حتي وادي ملوية وجبال تازة غربا وقاعدته تلمسان وجزائر بني مزغنة ويمثله الجزائر حاليا ، أما المغرب الاقصي وقد سمي بذلك لأنه أبعد أقسام المغرب عن دار الخلافة حيث يمتد من وادي ملوية شرقا حتي مدينة أسفي (9) علي المحيط الأطلسي غربا وجبال درن جنوبا ويمثله حاليا المملكة المغربية .

هذا مع العلم أن موقع المغرب الجغرافي لعب دورا هاما في أغلب العصور ، هذا علاوة علي ان طبيعة بلاد المغرب الجغرافية لعبت دورا كبيرا في تسهيل عملية الفتح العربي لها فقد يسرت التضاريس التي امتازت بها تلك البلاد.. للقادة العسكريين دخول المنطقة بسرعة هذا اضافة إلي الساحل المغربي الذي كان فيه نشاط بحري في العصور القديمة لاسيما في البحر الابيض المتوسط . أما في فترة العصور الوسطي فقد ارتبط المغرب بصلات وثيقة مع اسبانيا لم تنقطع إلا بعد الغزو المسيحي الأسباني .

عناصر السكان ببلاد المغرب قبل الإسلام :

سكنت بلاد المغرب علي مر عصور التاريخ شعوب عديدة مختلفة فقد كان بها الأوربيون – اللاتيني والوندال – والأغريق والرومان – كما سكنها الأتراك والزنوج وقد امتزجت هذه العناصر بالسكان لكنها لم تؤثر فيها لقلة اعدادها (10) ، وعندما تم الفتح الإسلامي العربي لبلاد المغرب واختلط العرب بأهل البلاد نجدهم ومنذ القرن السابع الميلادي قد تمكنوا من احداث تغييرات كبيرة وجوهرية في نظم وحياة الشعب الأمازيقي .

وقد كانت في بلاد المغرب قبيل الفتح مجموعة عناصر بشرية تمثلت في الروم وهم البيزنطيون عناصر وفدت علي بلاد المغرب منذ القدم وهم عناصر وافدة علي المغرب ، قد كانوا الطبقة المسيطرة أو التي تتصل بالطبقة المسيطرة والحكم الأفارق أو الأفارقة وهم بقايا شعب قرطاجنة واخلاط من المستعمرين اللاتيني والوطنيين الذين تأثروا بالحضارة الرومانية والبيزنطية .

ج – أهل البلاد الأصليين فهم المغاربة الامازيغ وقد عرف هؤلاء بالبربر وهي كلمة مشتقة من بربري أي همجي Barbarian

أما عن ديانتهم فقد كان لهم في القرن الأول قبل الميلاد آلهة تحميهم تسمي (إفريقا) رأسها مغطي بجلد فيل (11) ، يتعبدون في المنادات أو في أماكن قريبة من الآبار والأشجار المقدسة لديهم وقد انقسم البربر إلي قسمين حسب آراء النسابة البرانس الذين ينسبون إلي برانس بن بر والقسم الثاني مادغيس وهؤلاء لقبوا بالأبتر أو البتر وينسبون إلي مادغيس ابن بر الملقب بالأبتر وهنالك رواية تشير إلي أن البرانس والبتر من أصل واحد .

هذا مع ملاحظة أن الأوضاع السائدة في الحوض الغربي للبحر المتوسط ولاسيما أن كل من المغرب والأندلس تشكلان جزءا رئيسيا فيه وذلك لأن هذه الأوضاع كان لها تأثيرات وانعكاسات علي بلاد المغرب والأندلس سواء قبل الفتح الإسلامي او بعده ، فقد كان احتكاك منطقة غرب البحر المتوسط وبين الحياة العربية ، ثم أول ماتم عن طريق الفتوح العربية الإسلامية ، وتعني بها فتوح المغرب والأندلس ، مع ملاحظة أن الفتوح العربية في تلك البلاد ليست مجرد فتوح عسكرية فقط ، بل هي فتوح دينية وثقافية لأن المسلمون كانوا حملة رسالة سماوية عظيمة عملوا علي نشرها وفي سبيل تحقيق ذلك

قدر لهم أن يصطدموا بعقائد وتقاليد موروثة ، وحتي نتمكن من معرفة الدور الذي قام به المسلمون ومقدار مالاقوه من مقاومة كان لابد لنا من الوقوف علي أوضاع الكنائس المحلية في البلاد التي فتحها المسلمون لنبين نصيب هذه الكنائس من القوة والضعف ومدي قدرتها علي المقاومة .

أما بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي خضعت لانواع مختلفة من الاستعمار ، مع ملاحظة أن المغاربة لم يناضلوا خلف كنيسة قومية قوية تتفاعل عقيدتها في نفوسهم مثلما فعل المصريون ولعل هذا أحد أسباب سرعة انتشار الإسلام في بلاد المغرب .

طبيعة الفتوح الإسلامية :

أهدافها ومرحلتها الاستكشافية :

من الضروري أن نقف علي طبيعة الفتوح الإسلامية والأسباب التي دفعت إليها – لمعرفة ما أحدثته من تأثيرات علي البلاد المفتوحة وأهلها . مع ملاحظة أن اهداف وبواعث الفتوح الإسلامية ظلت مجهولة لدي الغربيين الذين يحسبون المد الإسلامي حركة سيف وهجرة جيش واطماع كذلك فهي مجهولة لدي بعض المسلمين والدليل علي ذلك ما أورده سيد قطب حين قال " فهؤلاء واولئك لم يدركوا طبيعة الفتوح الإسلامية وبواعثها مما جعلهم يتكلمون عنها بصورة تشوه نقاءها وتنال من طهارة وسمو طبيعتها وبواعثها وأهدافها .(12).

لذلك كان ينبغي توضيح حقيقة هذه الفتوح فالإسلام يسير وفق النظرية الإسلامية التي تقول . قال تعالي " لا أكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " (13) وجاءت السنة مؤكدة علي هذه النظرية التي استقيناها من القرآن الكريم فقد سئل رسول الله (ص) الرجل يقاتل

للمقيم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليري ، فمن في سبيل الله .؟
قال " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .

فهذه النصوص من القرآن والحديث تبـين بجـلاء طبيعـة الفتـوح الإسلامية وحروبها إجمالا. قام بهذه الفتوح عظماء الفـاتحين وعلـي رأسهم محمد صلي الله عليه وسلم ، وكان قد اجتماع حوله صـلوات الله وسلامه عليه في المدينة عصبة ممن حرزهم الإسلام من ضـياع وظلمة الجاهلية الي هدي الإيمان والإسلام اقتدوا بالرسول وسـاروا معه ما عاش ثم من بعده ساروا علي هدية ونهجـة لينـشئوا دولـة الإسلام : وكانت القاعدة التي سار عليها النبي (ص) في نشر الـدين ووضع اسس دولته . هي التي وضحها الله عز وجل في محكم تنزيله في سورة النحل حيث قال عز وجل " أدع إلي سبيل ربـك بالحكمـة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، أن ربك اعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين " (13)

لذلك جاءت أهداف الحروب في الإسـلام لاعلاءكلمـة الله سـبحانه وتعالي لتكون هي العليا ولاسيما وقد جاء في كتابه عز مـن قائـل . قال تعالي " إن الدين عند الله الإسلام " (15) وقال كذلك " ومن يبتـغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه " (16) وحتي تكـون كلمـة الله هـي العليا لابد أن يصبح الإسلام دين البشرية جمعاء ومع ذلك تدعو الي الله بالحكمة والموعظة الحسنة ونجادل بالتي هي أحسن . فـإذا مـا اعترضت قوة مادية طريق الدعوة . صار من حق المـسلمين حمـل السلاح لتقرير وحماية حرية العقيدة إلي الله – وحتي لاتكـون فتنـة ويكون الدين كله لله : وبهذا يكون معني القتال لتكون كلمـة الله هـي العليا . أي لضمان حرية الدعوة وحرية الاعتقـاد وازاحـة القـوي المادية التي تحول دون ذلك .

والخلاصة أن الفتوح الإسلامية عامة وللمغرب خاصة كانت فتحا للقلوب غرست بذرة العدل والتسامح والمساواة والإخاء بين الناس . أما مقولة أن الإسلام انتشر بالسيف فلم يرفع سيف رجل ليدخل الإسلام كما لم تسلم أمه وعلي رقاب أهلها السيف بل كان السيف لأهل السيوف المسلولة علي الإسلام وأهله ولمن وقف في طريق الدعوة .

ولابد من الإشارة إلي أن مصر كانت قاعدة ثقافية يخرج منها العلماء في هجرة مطردة إلي القيروان يعملون فيها ثم يتجهون صوب الغرب ويعبرون مضيق جبل طارق إلي الأندلس ، كذلك كان لها دور عسكري فمنها خرجت المؤونة للجيوش الإسلايمة الفاتحة في بلاد المغرب بل كان والي مصر يشرف علي بلاد المغرب كلها والأندلس ايضا .

مصر وجهود واليها في فتوح الجبهة الإفريقية :

تمكن ابن العاص والي مصر من أن يمكن لنفوذ دولة الإسلام فيها وكان لابد – واستجابة لضرورات عسكرية وسياسية ودينية – أن يتجاوز حدود البلاد متطلعا إلي بلاد المغرب لذلك بعد فتح مصر مباشرة أخذ في الترتيب والتخطيط لمواصلة الجهود التي بذلت لقهر البيزنطيين في مصر . بعد استسلام الإسكندرية مباشرة سنة 22-624م أي بعد افتتاح مصر بعامين بدأ عمرو بن العاص يتوغل بقواته صوب الغرب متعقبا فلول القوات البيزنطية المندحرة مخترقا برقة وطرابلس حتي إذا اقترب من حدود تونس الحالية وعلم بتجمعات الروم عاد ادراجه (17).

سلك ابن العاص الطريق المحازي للسلاحل الجنوبي للمتوسط وهنا يرد سؤال هل لم يكن هناك وجود عسكري بحري بيزنطي ؟ وعلي

ذلك يكون الافتراض هو غياب القوات البحرية البيزنطية عن مساحة المعارك وهذا أمر يمثل فراغا عسكريا له اهميته ، واعتقد أن هذا الفراغ العسكرى لم يمكن امرا طبيعيا اللهم إلا إذا سلمنا بأن المنطقة – منطقة ساحل شمال إفريقيا – كانت تخلو من آية قاعدة بحرية بيزنطية ، أو أن البيزنطيين عملوا علي سياسة التجاهل التي ظهرت بوادرها في مصر بالنسبة للمغرب .، وهي سياسية كانت تعتبر الفتح الإسلامي مجرد غارات بدوية سعيا وراء الكلأ والماء ويبدو أن تقديرهم خاطئا .

ذكر ابن عزاري أن عقبة بن نافع الفهري – وهو أحد مشاهير الفتح الإسلامي للمغرب فيما بعد – قاد عملية استطلاعية إلي منطقة برقة وكانت المعلومات التي جاء بها مشجعة للقيادة العسكرية الإسلامية في مصر لبدء التحرك نحو الغرب . لقد كان فتح برقة وطرابلس ضرورة استراتيجية عسكرية لحماية حدود مصر الغربية ضد ما قد يتصدرها من خطر الروم في إفريقية (18). لذلك اتخذ الجيش الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص طريقه إلي برقة البوابة الأولي لبلاد المغرب من ناحية مصر والتي كانت تتمتع باستقلال ذاتي إلي حد ما وتحكم بواسطة قبيلة لواته البترية . ولذلك كانت هذه القبيلة علي خلا مع الإدارة البيزنطية والتي لم يكن يرضيها مثل هذا الأمر وانعكس هذا علي علاقات لواته بالفاتحين إذ أنها رحبت بهم وربما فتحت لهم برقة دون حرب لأنها رأت أن ذلك فيه خلاص من البيزنطيين وهذا يعني أن عمرو بن العاص صالح بربر لواته فضمن بذلك ولاءهم للمسلمين .

ويذكر أن لواته في مقابل ذلك ظلت تتمتع باستقلال ذاتي في برقة نظير جزية سنوية تؤديها للعرب (19).

فيروي أن عمرو بن العاص استفتح مصر سنة 20- 640 م ووجه منها عقبة بن نافع وهو ابن خالته إلي لوبيه وافريقية فافتتحهما ثم توجه بنفسه إلي برقة فصالح أهلها علي الجزية وتوجه منها إلي طرابلس فافتتحها بعد استغاثة أهلها بقبيلة من البربر يقال لهم نفوسة – ثم سيطر علي مناطق الواحات وفتح فزان وزويلة (20).

وعند وصوله إلي هذه المناطق كتب إلي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره بما انعم به الله عليه من نصر وبأن ليس امامه الا بلاد افريقية وملوكها كثر واهلها عددهم كبير لهم الخبرات . وكان عمرو بن العاص قبل أن ينتهي من فتح طرابلس جرد جيش وبعث به إلي سيرت والتي حكي أنه كان بها متحصنين فلما ظفر بها جرد جيلا كثيفة من ليلته وأمرهم بالسير بسرعة فوصلت مدينة سيرت .. في ذات الوقت الذي كان ابن العاص يحاصر طرابلس بعث قوة إلي ودان سنة 23هـ – 644م بقيادة يسر بن ابي اوطأة فافتتحها (21). وبهذا تم لعمر بن العاص من السيطرة علي برقة والجزء الشرقي من طرابلس .

فلما وصلت انباء انتصار المسلمين الي جريجوريوس – جرجير – كما تسميه المراجع العربية – حاكم بلاد قابس حصنها وتأهب لملاقاة العرب ومنازلتهم ورغم ذلك ألحق به المسلمين هزيمة نكراء وأسروا أبشة . وقد خاطب ابن العاص أمير المؤمنين – عمر بن الخطاب وبين له أحوال فتوحه وطلب منه مواصلة الفتح غير أن الخليفة طلب منه عدم مواصلة الفتوح في إفريقية .

ثم جاءت خلافة عثمان بن عفان واسندت ولاية مصر إلي عبدالله بن سعد بن ابي السرح سنة 24 – 645 م وتطلعت الأنظار لاكمال الفتح في بلاد المغرب وبدأت التوجهات العسكرية إلي افريقية عبارة

عن سرايا كانت بمثابة المحبسات (22) . علي طريق الفتح المـــنظم للمغرب .

وقد مثل فتح برقة وطرابلس ضرورة استراتيجية عـــسكرية لحمايـــة حدود مصر الغربية .

موقف سيطلة سنة 28هـــ – 648 ونتائجها :

تحركت الحملة الإسلامية ووصلت اخبارهـــا إلــي مـــسامع الحـــاكم البيزنطي علي افريقية وكان يدعي جريجوريوس – جرجير – والذي امتد نفوذه ليشمل المنطقة من طرابلس إلي الغرب ، فجهـــز نفـــسه وتمركز بقواته في قاعدة قرطاجنة البحرية الشهيرة ، ويبدو أن هناك مفاوضات دارت بين عبدالله بن ابي السرح وبين القائد جريجوريوس قبل القتال فقد عرض ابن ابي السرح عليه الدخول فـــي الإســـلام أو الاستسلام أو دفع الجزية (23).

وقد التقي الجيشان في سبيطلة سنة 28هــــ – 648م فاشـــتبكا فـــي معركة طاحنة في سهل متسع يسمي يعقوبة – انتصر المسلمون فيهـــا نصرا مؤزرا ودمرت القوات البيزنطية وقتل قائدها جريجوريـــوس وتم الصلح بينهما بعد أن انتصر المسلمون .

غير ان النتائج التي جناها المسلمون من هذا النصر كانت بشكل عام متواضعة إذ لم ينتج عنها سوي الحصول علي بعض الغنـــائم دون ان يحدث أي تعبر في شكل او خريطة المنطقة مع ملاحظة أن معركـــة سبيلطة حققت نتيجة هامة وأن لم تدم وهي فتح جزء من سبيطلة الي سوسة شمالا ومن سبيطلة إلي قفصة شرقا (24) ولكن هذا الأثر لـــم يدم طويلا نتيجة لعودة ابن ابي السرح إلي مصر دون التمسك بما تم فتحه .

وفي تلك الفترة حدث ما لم يكن في الحسبان إذ قامت الفتنة الكبـــري في عاصمة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة .

وأدي ذلك إلي توقف الفتح وسيطرة الجمود علي الجبهات الإســـلامية وكان سبب ذلك الفتنة التي فجرت في النفوس بعض الخلافات التـــي كان لابد من القضاء عليها .

ثم عادت الفتوح مرة أخري واستطاع المسلمون السيطرة علي منطقة سوسة وجلولاء في الفترة من 28هـــ - 668م وكان ذلك بقيادة عقبة بن نافع ثم تم عزله وتعيين معاوية بن خديج الكندي الــذي واصـــل الفتوح وعزل بأمر الخليفة وتعيين عقبة بن نافع في ولايته النائية وقد كان اختيار معاوية بن سفيان لعقبة ابن نافع اختيارا موفقا .

مرحلة الفتح المنظم 49 هـــ - 675م

عين عقبة بن نافع قائدا للجيوش الإسلامية في بلاد المغرب لمواصلة الفتوح في تلك الجبهات وفي عهده بدأت الأحداث العـــسكرية تأخـــذ شكلها المنظم ولنقف علي دوره الذي لعبه في عملية الفتح لأبـــد مـــن الإلمام بأحوال البلاد السياسية والاجتماعيـــة ، فـــالوجود العـــسكري العربي الإسلامي لم يكن حتي ذلك الوقت قد تعدي ولاية مصر – أما غربها فقد كان التواجد فيه تواجد رمزي تمثل فـــي شـــكل حاميـــات وسرايا صغيرة تقوم بهجمات خاطفة وسريعة محدودة الهدف والنطاق وقد استمر الحال في شمال إفريقيـــا متـــاثرا بـــالمتغيرات الـــسياسية والعالمية حتي عصر الفتوح الإسلامية .

منذ القرن الأول الهجري السابع الميلادي وعندما قامت دولة بني أمية وفي الفترة 41 – 132 هـــ نجدها قد تمكنت فـــي القـــضاء علـــي الحرب الأهلية واصبحت عليها القدرة علي شد جزي كبير من القوات العسكرية برية وبحرية والعمل بها لخدمة أهـــداف حركـــة الفتـــوح

الإسلامية شرقا وغربا ، لذلك أخذت الأعمال المنظمة ذات الأهداف الثابتة – الثابتة المستقرة تتجه نحو شمال افريقيا ، ولم تكن مهمتهم سهلة حيث كان عليهم مواجهة مقاومة شرسة مقسمة مابين البيزنطيين اعداء المسلمين التقلديين وهؤلاء كانوا علي درجة كبيرة من النفوق العسكري الذي لايستهان به وبين أهل البلاد البرانس في السواحل والبتر في الداخل ، وقد كانت المواجهة عنيفة وصعبة مع البيزنطيين ، كما كانت علاقة المغاربة بالمسملين في ذلك الوقت لاتزال في بدايتها ولم تصل بعد إلي مرحلة اطمئنان كل طرف للطرف الآخر . ولابد أن نلاحظ أن هؤلاء البيزنطيين الموجودين في القسطنطينة ، كما لايفوتنا أن نذكر الضربات الموجعة التي لقيها المسلمون للروم في كل من بلاد الشام ومصر والتي كانت قد اسهمت في زعزعة السلطة المركزية البيزنطية التي تمتعت بها دولة الروم .

في هذه الظروف الغير مستقرة تم تعيين عقبة ابن نافع الفهري سنة 49هـ – 669م علي الجبهة الإفريقية ليصبح خليفة لمعاوية بن خديج الكندي (25) وبهذا التعيين بدأت مرحلة جديدة وحاسمة في تاريخ الفتوح الإسلامية وهي الفترة التي بدأ فيها الفتح الإسلامي المنتظم في بلاد المغرب ، وعقبة هذا من كبار التابعين – كبار التابعين – ومن القواد العظام الذين جعلوا الفتوح الإسلامية وسيلة لنشر الإسلام وهو في اوائل المجاهدين في بلاد المغرب . وقد كان ذو معرفة عميقة بشئون تلك البلاد وطبائع اهلها (26) وعاداتهم واحوالهم المعيشية ، وهذا يسر له أن يكون علي دراية تامة ساعدته عندما اصبح أول حاكم عربي في إفريقية ولم يكتف بالفتوح فقط بل عمل مجاهدا لادخال الايمان في قلوب سكان تلك البلاد فانتشر

الإسلام علي يديه انتشارا واسعا واصبح الذين اعتنقوا الإسلام سندا له في مسيرته .

جاء عقبة بن نافع إلي افريقية عام 50هـ - 670م ليكمل سلسلة اعماله وخرج في عشرة ألف مقاتل ومعه فواده ونزل في غدامس من أرض صيرة - سيرت أو صيراطة وترك فرقة من اربعمائة فارس هناك بقيادة زهير بن قيس البلول (27) تسير في زحفها حتي بلغت ودان ثم مضي إلي قصور فزان ففتحها واختتم زهير غزواته بموضع القيروان الذي كان قد اقامه معاوية بن خديج الكندي فلم يعجبه وانتقل من إلي موضع آخر جنوبي قرطبة واطلق عليه - القيروان - وقد كان موقعها ذو أهمية استراتيجية فهي بعيدة عن الساحل كما كانت بعيدة عن جوف الصحراء ، وكان عقبة يريدها قاعدة انطلاق لغزواته وقد بناها لتكون قاعدة عسكرية اسلامية وحصن للمسلمين ضد الروم وغاراتهم(28). وقد استغرق بناء هذه المدينة عدة سنوات وقد وجد عقبة ان الظروف مواتية لذلك وقد عمرت بمختلف أنواع الابنية والمنشآت فيشد اليها الناس الرحال (29) . وازدحمت بالأسواق واصبحت قاعدة انطلاق للقوات الإسلامية واستقر فيها عدد كبير من البربر أهل البلاد والذين كانوا حديثي العهد بالإسلام .

بتاسيس مدينة القيروان بدأت الفتوح تأخذ طابعا ثابتا ومستقرا حيث أصبحت القاعدة التي تنطلق منها الحملات والتي كانت سابقا عبارة عن غارات استكشافية يهدف التعرف علي الأرض واحراز ماتيسر من الغنائم ثم تعود قوات المسلمين بعدها إلي برقة او مصر دون أن يكون لذلك أثر ملموس وثابت يدل علي مضي الفتح المنتظم (30) وعليه فإنه من هذه القاعدة استطاع عقبة أن يضع خطط طموحة هدفها الاستيلاء علي بعض المناطق والمحافظة عليها وليس مجرد

غزو سريع ، وبدأ يشكل حاميات عسكرية في المدن والمواقــع التـــي يتم السيطرة ليها ، وإذا تساءلنا عن موقف البربر من هذه الأحــداث نجدهم وجدوا في سلوك الفاتحين اخلاقا طيبة وتعاملا لم يــألفوه فـــي حياتهم السابقة .

وفي هذا الوقت جاء أمر الخليفة معاوية بن ابي سفيان بعزل عقبــة بن نافع بعد اتمام مدينة القيروان ، ولم يعرف سبب العزل وأن دمج بعض المحدثين أنها وشاية دست علي عقبة بن نافع لدي معاويـــة أو نتيجة لخوف الخليفة من أن يفكر عقبة في الاســتقلال بــشئون بــلاد المغرب ، فقد عين محله مولاه ابو المجاهد دينار 55- 62هـ وقــد كان قائدا لايقل مهارة عن عقبة (31) . وقد عمل ابوالمهــاجر فـــي نشر الإسلام واعلاء كلمته اضافة إلي أنه نجح في الفصل بني البربر والبيزنطيين واقامة نوع من التحالف بينهم وقد كان تحالفا سياسيا بينه وبين احدي كبريات قبائل البربر وهي قبيلة اورية البربرية البرانــسية المقيمة في جبال اوراس (32).

والشاهد أنه نجح في تحقيق ما يصبو اليه في بلاد المغرب رغــم أن المؤرخين لم يذكروا اعماله العظيمة لأن ولايته توسطت ولاية عقبــة بن نافع الأولي والثانية .. ظل ابوالمهاجر دينار علي ولايــة إفريقيــا حتي توفي معاوية سنة 60 – 61هـ وآلت الخلافة لابنة بزيــد بــن معاوية وقد كان مقدرا لجهود عقبة فقام بعزل ابوالمهاجد سنة 62هـ – واعاد عقبة إلي عمله في افريقية وكان ذلك ســنة 62 – 64هــ وعاد عقبة اشاد عزما علي مواصلة الفتوح وقد خــرج عقبــة فـــي غزواته الكبري التي وصل فيها الي بغاية وقرطاجة ما ستولي عليها (33) واجتاح اقليم الذاب في المغرب الأوسط وسيطر علي المنــستير اعظم من افريقية وبالمقبل تجمع الروم في تاهرت يؤازرهم كل مــن

قبائل لواته وزواغة وزناتة ومع هذا انتصر المسلمون بقيادة عقبة عليهم جميعا ومعني ووصل في فتوحاته إلي المغرب الاقصي سنة 62هـ - 682م وبذلك يعتبر أول قائد يدخل بقواته الي مشارف طنجة ويروي عنه أنه قال عند وصوله مدينة ماسه طرف المحيط اللهم أني اشهدك ان لا مجاز ولو وجدت مجازا لجزت (34).

وأخيرا عاد عقبة إلي القيروان وفي طريقة نصب له كسيله بن لمزم الأوربي كمينا فلم يستطع النفاذ منه فارس يطلب المدر في أبي المهاجر دينار التي جاء اليه يفرقه وحاول أن يفك الحصار ولكن دون جدوي ودارت المعركة عند تهودة سنة 62هـ (35) ، وانتهت بهزيمة المسلمين واستشهاد عقبة بن نافع وصاحبه ابو المهاجر دينار وهما يدافعان عن دين الله كما استشهد معهم عدد كبير من المسلمين .

ولم تنتهي نتائج موقعة تهودة عن هذا الحد بل نجد أن كسيلة قد دخل القيروان بعد انسحاب حاميتها الي برقة وظل قائد الحامية مرابطها بها حتي خلافة عبد الملك بن مروان سنة 65هـ فقام الخليفة بارسال زهير بن قيس اليهوي في محاولة لاكمال الفتوح واستعادت مافقد من نفوذ في تلك البلاد.

مرحلة اكتمال الفتوح :

ارسل الخليفة عبدالملك بن مروان زهير بن قيس البلوي صاحب الشهيد المجاهد والبطل المقدام عقبة في حملة لاسترداد القيروان والأخذ بثأر عقبة (36) . وثم اختيار زهير لأنه من رؤساء العابدين واشراف المجاهدين . فسار علي رأس جيش كبير من جند الشام سنة 69هـ - 688م إلي القيروان ، ولما علم كسيلة بقدوم زهير رحل من القيروان الي موضع يعرف باسم ساقية ممس لحصانته ثم قصده

زهير حال وصوله الي القيروان وانتصرت القواد الإسلامية علي كسيلة وانتهي الأمر بقتل كسيلة بن لمزم (37).

عاد زهير بعد ذلك إلي القيروان واقام فيها بعض الوقت تم تركها بعد نظم ادارتها وعاد إلي برقة وفي الطريق قطع الروم عليه ودارت معركة بين الطرفين في درقة استشهد فيها زهير سنة 69هـ وتوقف بعد ذلك الفتح الإسلامي لمدة اربع سنوات لانشغال الخليفة عبدالملك بن مروان بافخماد ثورة عبدالله بن الزبير الذي مات سنة 73هـ .

وترتب علي وفاة زهير في معركة درقة انعكاس ذلك علي الدرك الإسلامية ، لذلك ترتب علي هذا الأمر أن هدفت الدولة المروانية – الخلافة الاموية – والتي تجاوزت محنتها الداخلية إلي اعادة الاعتبار لموقعها السياسي وبسط نفوذها في بلاد المغرب واثبات قدرتها علي القيام بعمليات عسكرية في نجاح لذلك أعدت حملة ترافقها حملة بحرية (38)، اسندت قيادتها إلي حسان بن النعمان الغساني وجاء هذا الاختيار اعلانا إلي أن الدولة الأموية اجتازت محنتها الداخلية إذ أن حسان بن النعمان علي مستوي عال في القدرة والمهارة مما جعله محط ثقة الخلافة وتقديرها(39) وقد كانت جميع نفقات حملته في ولاية مصر إذ خرج من ميدنة الفسطاط سنة 74هـ - 644م ووصل طرابلس وانضم إليه البرير فلما وصل القيرون صمم علي قتال من ملك قرطاجة البيزنطي والبربر المتمردين منفردين .

وكانت خطة حسان محاربة الروم في قرطاجة وتدمير قاعدتهم واستطاع أن يقوم بذلك بعد أن دمر حاميتهم وانتصر اليهم واصبحت قرطاجة اثرا بعد عين واطلال تغص من بناها(40) واصبحت قاعدة في ايدي المسلمين الذين سيطروا علي مدن الساحل بعد طرد الروم

وهكذا نجح حسان في القضاء علي مقاومة الروم ثم توجـه للقـضاء علي الكتلة الثانية الموجودة علي مسرح الاحداث ونعني بهـا البتـر المقيمون في جبال اوراس وزعيمتهم المسماة بالكاهنة والتي ادعـت التنبوء بالغيب (41).

بعد مقتل طسيلة لم يتوقف تيار التمرد البربري وهذا التمرد قادته ضد المسلمين هذه المرأة البربرية التي عرفتها المـصادر العربيـة باسـم الكاهنة وهي تنحدر من قبيلة جراوة التي كانت تدين باليهوديـة (42) والتي كانت منتشرة بين البربر البتر مثلما كانت المسيحية منتشرة بين البرانس وقد نجحت الكاهنة في كسب الناس حولها كما انضمت اليهـا بعض الجيوب المتمردة فزحف حسان بن النعمان سنة 75 هـ قرب باجة وكانت الكاهنة قد سبقته اليها جبيشه فهـدمت المدينـة (43) . والتحم الفريقان في معركة طاحنة انهزم فيها حسان وجنده قرب نهـر البلاد واسرت الكاهنة بعض من جنده وطاردت القـوات الإسـلامية حتي قابس وتراجع الجيش الإسلامي إلي برقة واقام هناك في موضع يقال له قصور حسان ، وقد حكمت الكاهنة المغرب هي واولادهـا . قامت بتخريب كل عامر .

انهيار مقاومة الكاهنة وبناء تونس :

وصلت الامدادات الي حسان بن النعمان الذي توجـه لقتـال قـوات الكاهنة وقد ادركت ان الهزيمة محدقة بها فتراجعت الي الداخل حيث جبال اوراس وارسلت تطلب الأمان فقبل حسن ذلك غير انها قـررت القتال حتي الموت وظل حسان يطاردها حتي لحق بها سنة 83هـ – (70) عند مدينة قابس (44) عند موضع يقال له بئر الكاهنة فهزمها حسان وسحق قواتها وقتلها بسنة 83 – 701م وامن البربـر علـي السمع والطاعة وعين ابن الكاهنة علي جبل اوراس بعد تأكـد فـي

طاعته وهدفه في ذلك كسب قلوب البربر وزعمائهم ثم عاد إلي القيروان بعد ان قضي علي كل مقاومة واستقرت له الامور وتمكن من استرداد حامية قرطاية وقد أدرك حسان ان الخطر لازال قائما من جبهة البحر لذلك رأي اقامة مدينة اسلامية تقع علي البحر قبالة قرطاجة فقام ببناء تونس علي بعد 12 ميلا شرقي قرطاجة (45) واقام بها دار صناعة ومسجدا جامعا ودار إمارة وثكنات للجند واصبحت مدينة تونس في اعظم ثغور افريقية وقد عمرها عبدالله بن الحجاب وقاام بها اعظم مساجد المغرب الأدني ومسجد الزيتونة نسبة للقديسة زيتونة التي عاصرت غزو الوندال لشمال افريقيا وقد كانت حملة حسان تحول سياسي وحضاري ببلاد المغرب .

اخضاع المغرب الأقصي – ولاية موسي بن نصير 86- 90 – 706 – 712 م :

عزل حسن بن النعمان الغساني عن ولاية إفريقية سنة 86هـ وكان ذلك في بداية عهد الوليد بن عبدالملك ، وتولي مكانه في بلاد المغرب موسي بن نصير بأمر من عبدالله بن عبدالملك والي مصر انذاك (46) وكان موسي بن نصير عاملا عي العراق مع بشير بن مروان ، موسي بن نصير من التابعين ولد سنة 19هـ في خلافة عمر بن الخطاب في احدي قري الجزيرة أو بوادي القري الواقع شمال الحجاز (43).

جاء موسي بن نصير واليا علي افريقية فسار علي نفس نهج أبوالمهاجر دينار فكان مرنا في سياسته واستطاع ان يؤمن كل المناطق المفتوحة بل امامه مهمة صعبة وهي اخضاع المغرب الاقصي فكان أول ما قام به جرد حملة عسكرية قاصدا مدينة طنجة متتبعا بقايا الخارجين من اهل المغرب اضافة إلي انه اهتم بنشر

الإسلام فاقبلوا عليه واعتنقوه،وذاع الإسلام بينهم ذيوعا كبيرا وهبت ريح من الامن والسكينة علي البلاد المفتوحة (48) . وقد اعجب ماقام به الخلافة اما المغاربة فقد تأثروا بانتصاره فخضعوا له واصبحوا من حملة راية الإسلام ، فتم فتح مدينة طنجة وعين عليها حامية عسكرية اسلامية بقيادة مولاه طارق بن زياد وذلك تقديرا في موسي لجهود طارق في الحملات التي جردها لتأديب المتمردين من أهل المغرب الأقصي (49) . وترك موسي مولاه طارق لحامية قوامها 29 ألفا كما ذكر المؤرخون ومعهم سبعة عشر رجلا من العرب ليعلموا أهل البلاد مباديء الإسلام ويفقهوهم في الدين وتحفظوهم القرآن الكريم واستطاع طرق ان ينتقم في قتلة عقبة بن نافع في تهودة ، إضافة إلي موسي ابن نصير عمل علي تأمين الثغور قبالة البحر فبني دارا للسفن علي مقربه في اطلال قرطاجنة وانشأ أسطولا ضخما لحماية السواحل في شمال إفريقيا ، فسير جيشا بقيادة ابنه إلي الجزر الغربية فغزا جزائر البليارد (50) الجزائر الشرقية : ميورقة ، منورقة ، يابسة – وقد كانت لحق سيطرة القوط في اسبانيا.

مع ملاحظة أن موسي بن نصير انهتم بالقوات البحرية حتي اصبحت قوة ضاربة ومؤثرة في حسم الصراع الذي طال امده ضد الروم في بلاد المغرب وفي جوف البحر المتوسط الغربي كله ، وقد ساعده علي تيار السفن وفرة الاخشاب الصالحة لبناء السفن ووجود دار صناعة في كل من سوسة وتونس (51) وبهذا استطاع ابن نصير ان يجهز قوة بحرية عسكرية استطاعت ان تغزي القواعد البيزنطية في حوض البحر المتوسط في كل من جزيرة صقلية وساردينا.

هكذا تم لموسي بن نصير ان يتم عملية اخضاع المغرب الاقصي للسيادة الإسلامية ولم يستعصي عليه سوي مدينة سبتة لمناعتها

ووصول الامدادات اليها بحرا من القوط في اسبانيا وحاكم سبتة من قبل القوط كان حاكما عاما علي اقليم مورطانية الطنجية التابعة للخام الروم .

خلافة عمر بن عبدالعزيز وظهور شخصية المغرب الإسلامية :

آلت الخلافة إلي عمر بن عبدالعزيز في مستهل القرن الثاني الهجري فوجه اهتمامه إلي المغرب الإسلامي والذي كان عقبه قد جعل منه قيروانا لعزة الإسلام إلي آخر الدهر ، فاختار عمر بن عبدالعزيز من التابعين الذين يثق بعلمهم وفضلهم وارسلهم إلي بلاد المغرب لدعوة أهل المغرب الذين لم يسلموا الي الإسلام وارشادهم الي شريعة الله السمحة وتعاليمه العالية فقام كل واحد من الفقهاء ببناء دارا لسكناه وجواره مسجدا لعبادته ومجالسه (52) ثم خصص كل فقيه مكانا لحفظ القرآن وتعليم مباديء اللغة العربية فاشاع الفقهاء الرشد وبثوا العلم وحرصوا علي الامن والقاضي والمؤاساة فكان الإسلام الذي اعتنقه البربر نهائيا وتجاوز الفقهاء ذلك بأنهم اخذوا تعليم البربر القراءة والكتابة ، وعليه تعتبر هذه البعثة التي ارسلها الخليفة عمر بن عبدالعزيز قد فتحت المغرب دينيا إذ تم علي ايدي افرادها نشر الإسلام ومباديء اللغة العربية بين البربر (53).

مع ملاحظة أن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب استغرق زمنا طويلا قارب الستين عاما ، وهذه الفترة طويلة إذا ماقورنت نسبيا بالفترة التي استغرقها فتح بلاد الشام والعراق ومصر ، فالمعروف ان المسلمين اجتاحوا العراق والشام ومصر في فترة لم تتجاوز العشر سنوات بينما امتد الفتح الإسلامي للمغرب (54) في سنة 23هـ الي 90هـ أي لم تنتهي الا بنهاية القرن الاول الهجري أو قريبا منه .

ولعل طول المدة يرجع الي عدة عوامل اهمها مناعة بلاد المغرب تضاريسيا وشدة مراسي اهلها وميلهم الدائم للتمرد والثورة وتحريض بيزنطة وتمسكها بهذه البلاد في مواجهة المد الإسلامي اضافة الي ان هناك عوامل تعلقت باوضاع الدولة الإسلامية (55) ساهمت في اطالة أمد الفتح مثل احداث الفتنة الكبري التي اوردت بحياة الخليفة عثمان بن عفان والحرب الأهلية التي قامت بين علي كرم الله وجهه ومعاوية بن ابي سفيان .

هذا اضافة الي الفتح الإسلامي للمغرب كان فتحا معنويا فقد أخذ أهل المغرب العقيدة الإسلامية وعادات الفاتحين ودينهم ولغتهم التي حلت محل عادات ولغة ودين أهل البلاد ، فاقبل البربر علي الإسلام وتعليم العربية (56) واخذوا التقاليد والعادات العربية في ثوبها الإسلامي الفقي ليصلوا بعد قليل إلي مرحلة تجعلهم في مصاف الفاتحين بل اصبحوا بهم انفسهم حملة راية الإسلام العاملين علي نشوة الحاملين لواء الفتح في الافاق والبلدان البعيدة في شبه جزيرة أيبريا .

الخلاصة :

نتائج الفتوح الإسلامية في بلاد المغرب

أ- انتشار الإسلام

ب- انتشار اللغة العربية وثقافتها .

أثر الفتوح الإسلامية في بلاد المغرب

1- انتشار الإسلام :

كانت حركة الفتوح الإسلامية إحدي وسائل المسلمين لنشر الإسلام الذي سلك في انتشاره عدة مسالك إحداها الفتوح ، أما المدخل الاكبر فكان الكلمة الطيبة والحكمة والموعظة الحسنة ، يحملها المسلم إلي غير المسلم. وكان هذا أقوي أسباب انتشار الإسلام خلال القرن الأول ولا

غرو فقد كان العرب الذين استقروا في البلاد المفتوحة قوما علي خلق وإيمان بالغسلام عميق (57) وهناك ملاحظة لابد من ذكرها ألا وهي أن الأعمال العسكرية لم تنشر الغسلام . وإنما مهدت له الطريق لينتشر في البلاد المفتوحة خاصة وأن الغسلام كان يسير وفق النظرية الإسلامية العامة وهي التي ورت في نص الآية الكريمة " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ")(58) لذلك نجد أن المسلمين ساروا وفق النهج الذي بينه القرآن والذي وضح أن الإسلام نعمة الله الكبري علي الناس والنعم لاتفرض بل تمنح والواقع أن الفتح الإسلامي للمغرب قد استغرق وقتا طويلا بلغ بضع وستين عاما لاسيما وأهل المغرب قد ارتدوا عن الإسلام أكثر من اثنتي عشرة مرة لم ييأس المسلمون خلالها ولم يترددوا وقد قادهم قادة عظماء أمثال عمرو بن العاص ، وعبدالله بن سعد بن ابي السرح وعقبة بن نافع الفهري ومعاوية بن حديج الكندي ، وأبو المهاجر دينار ، وزهير بن قيس البلوي ، وحسان بن النعمان الغساني ، ثم موسي بن نصير وطارق بن زياد اللذين علي يديهما تم للمسلمين فتح بلاد المغرب " وإقرار الوجود الإسلامي علي أرضه بين أبنائه (59) . وكان أهل المغرب في السواحل يدينون بالمسيحية عندما كانوا يخضعون للسيادة البيزنطية أما في داخل البلاد فقد اعتنقوا اليهودية حيث استقر اليهود هناك تجارا ومرابين ، كذلك كانت الوثنية أو عبادة الكائنات والظواهر الطبيعية منتشرة بين مجموعة كبيرة من المغاربة البدو (60). لذلك عندما وصل الإسلام وعم نوره في هذه البلاد ، اقبل أهلها عليه ولم تثبت الديانات الأخري الموجودة في تلك البلاد أمام المد الإسلامي . وقد ترك المسلمين أهل البلاد المفتوحة علي عقيدتهم دون أن يكرهوهم علي اعتناق الإسلام ، مقابل أن يدفعوا جزية زهيدة القدار يؤديها الذمي إذا آثر البقاء علي معتقده إلي بيت مال السلمين سنويا في الولاية التي يقطنها . ويذكر ابن

خلدون أن إقبال أهل المغرب علي الإسلام بدأ منذ وقت مبكر ، مما يعتبر ردا قويا علي من يدعون انتشار الإسلام في البلاد المفتوحة بحد السيف وقال في ذلك ابن خلدون " وانساح المسلمون في البسائط بالغارات ، ووقع بينهم وبين البربر أهل الضواحي زحوف ، وقتل ، وسبي في اسرهم يومئذ من ملوكهم (اي ملوك البربر) وزمار بن صقلاب بن منذر وهو يومئذ أمير مغراوة وسائر زناتة ورفعوه إلي عثمان بن عفان ، فأسلم (اي وزمار) علي يده ، ومن عثمان بن عفان عليه ، وأطلقه وعقد له علي قومه (أي جعله رئيسا عليهم) (61) وهكذا نجد أن أهل المغرب أقبلوا علي الإسلام منذ الوهلة الأولي وقد أيد البلاذري قول ابن خلدون ، ولكن رغم هذا الإقبال إلا أن انتشار الغسلام بصورة تامة تأخر نحو قرن من الزمان ولم يظهر بوضوح إلا في خلافة عمر بن عبدالعزيز بن مروان (99 - 101هـ) والسبب في ذلك ما واجهه السلمون في مواجهتهم للروم وإتباعهم علي أرض المغرب أضف إلي ذلك عدم الإدراك الحقيقي لأهداف الفاتحين لدي أهل البلاد، كما أن الاحداث والفتن التي حدثت في الدولة الإسلامية عطلت مسيرة الفتح ، بعض الوقت ويذكر ابن الاثير لقد دخل كثير من أهل المغرب ، وقتذاك في الإسلام وامتنعت خطط المسلمين وقوي جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان ، وأطمأنوا علي المقام فثبت الإسلام عليهم (62) ، فنجد قبائل لواتة ونفذاوة ونفوسة وهم من البدو الذين كانوا علي عداء مع الروم قد استقروا في المنطقة التي أقيمت فيها القيروان وماحولها ولم يتاثروا بالمسيحية وحضارتها مما جعلهم يندفعوا إلي الإسلام " وقد ذكر البلاذري أن القبائل التي أعلنت أسلامها من المغاربة البدو هم نفوسة وهوارة ولواتة هم من مؤيدي العرب الفاتحين منذ البداية ، كما يذكر ابن عبدالحكم (63) ، ونجد أن القبائل المغربية التي دخلت الإسلام وما آلت

إليه منذ وقت مبكر كانت تسكن الجنوب حيث نجد أن فكرة انتشار الإسلام بدأت بين قبائل الجنوب " وهي شديدة الشبه بالقبائل العربية في حياتهم وعاداتهم من حيث ميلهم للرحلة أو الحياة الموزعة بين الظعن والإقامة (64) ، وهذا يدل علي أن حركة دخول الإسلام في إفريقية وانضمام أهلها للعرب الفاتحين بدأت أول الأمر عند القبائل الجنوبية البدوية ، وتأخر إسلام القبائل المتحضرة وانضمامها للمسلمين بعض الشيء ، والملاحظ أن هذه القبائل البربرية البدوية كانت لها مصالح مع الرباطات البيزنطية الموجودة علي ساحل البحر الأبيض المتوسط وإن اصبحت مصالح ضئيلة مما أضعف أمر هذه الرباطات ولم يعد لها أثر يخشاه العرب يقف حائل أمام انتشار الدين الحنيف بل أسلمت هذه القبائل وأصبحت من خبرة المسلمين ، وبدأ اختطاط مدينة القيروان واستمرت حرركة الدخول في الغسلام في تيار متدفق والدليل علي ذلك إسلام كسيلة بن لمزم وهو زعيم قببيلة أوربة البربرية (البرانس) بعد ثماني سنوات من ذلك وتبعه عدد كبير من قومه ودخل أهل البلاد في الإسلام بثبات وثقة لدرجة أن اعتمد عليهم الفاتحين في عمليات أخضاع المغرب الاقصي والدليل علي ذلك ظهور شخصية طارق بن زياد العربي الاب سنة 91هـ وكان مغربي الام ، مما يؤكد أن حركة الاندماج بين كل من العرب والمغاربة سواء بالإسلام أو الزواج سارت جنبا إلي جنب مع الفتوح التي قصها الرواة (65) وقد بدأت حركة إسلام المغاربة مبكرا ثم كانت حملات عقبة بن نافع الفهري واستشهاده ورفيقه أبوالمهاجر دينار سنة 62 - 63 هـ في تهودة (66) وهذا الأمر قد رفع من مكانة هؤلاء المجاهدين في نظر المغاربة وفتح قلوبهم للإسلام وسارت حركة الفتح الإسلامي بصورة جيدة وتحمس المغاربة للإسلام حتي أن بعضهم حاول نجدة عقبة بن نافع وجنده عندما تكاثر عليه اعداءه .

وهذا يؤكد أن حركة انتشار الإسلام عمل عليها المسلمون بصدق مما دفع أهل المغرب للإقبال علي الإسلام لاسيما علي أيام ولاية حسان بن النعمان الغساني (73 – 86هـ) لأن عقبة في ولايته كان قد اشتد علي أهل المغرب زاد إقبالهم بانتصار المسلمين علي الكاهنة ودحر جيوشها سنة 82 – 83 هـ (701م) مما أدي إلي استقرار الأمر للمسلمين في إفريقية بعد ذلك وأخذوا في التقدم نحو قرطاجنة فطهروها من الحاميات البيزنطية التي فرت أمام زحف المسلمين عبر البحر إلي القسطنطينية ، وكان لحسان بن النعمان دور كبير في تسيير أمور الإسلام في بلاد المغرب بصورة جيدة ، فقام بوضع القواعد والنظم الإدارية التي تكفل للمسلمين الاستقرار في المغرب بعد كل الحروب التي خاضوها. ولم يستمر حسان بن النعمان طويلا إذ عزله عبدالعزيز بن مروان عامل عبدالملك علي مصر عن أمر إفريقية سنة (85هـ) وجاء محله موسي بن نصير ، وقد دخل أهل المغرب في الإسلام عندما تأكد لهم أنه خيرا لهم لاسيما وقد اشرك المسلمون أهل المغرب في الجيش والأعطيات وتساووا معهم في قسمة الفي والغنائم . ويكذر ابن عذاري تعقيبا علي أعمال موسي بن نصير بإفْريقية بعد عودة موسي إلي القيروان ، مايلي وفي هذا التاريخ (86هـ) تم إسلام المغرب الاقصي وحول أماكن العبادة التي بناها المشركون إلي القبلة ، وجعلوا المنابر في مساجد الجماعات (اي المساجد الجامعة التي تقام فيها الجمع والعيدين ، وفيها (اي سنة 86هـ) صنع مسجد أغمات هيلانة (67) وهكذابدأت طائفة البربر – الحضر المتاثرين بالحضارة اللاتينية والمسيحية تقبل علي الإسلام ويحسن إسلامها حتي أنهم اقاموا مسجد عندهم والدليل علي ذلك أن موسي بن نصير ترك عند أهل طنجة سبعة عشر رجلا من الغرب يعلمون المغاربة أصول الدين الإسلامي ويفقهونهم فيه ، ومما يذكر ايضا

أن اغلب المصامدة كانوا قد أسلموا علي يد عقبة بن نافع الفهري طوعا واختيارا ، وإن موسي بن نصير وصل بعد ذلك (68) وقد أثر موسي بن نصير بإسلامه وشخصيته في أهل المغرب ، وهناك بعض المغاربة الذين لم يؤمنوا بالإسلام عن قناعة وإيمان فلم يخلو الأمر من طامع في غنيمة ، أو خائف من الفاتحين أو معاد للروم أو يأنس من جدوي المقاومة ، ولكن اغلبهم وجد في الإسلام المخرج من ظلم الإدارة البيزنطية فأصبحوا بعد فترة قليلة من إسلامهم مسلمين مخلصين لدينهم ودولتهم وتأخر إسلام البربر البرانس ومنهم صنهاجة ولكن عندما أسلموا كان إسلامهم كاملا وعميقا ، وقد اعتنقوا الإسلام فنشأت بينهم الدول مثل دولة الأدارسة في فاس سنة 172هـ - 788 م والفاطميين برقادة فالمهدية سنة 296هـ - 912م ثم بنوا زيري نواب الفاطميين بالمغرب بعد سنة 361هـ - 972م ، ثم المرابطين والموحدين وغير ذلك من الدول التي شهدتها منطقة الشمال الإفريقي (69) . وقد اهتم الخلفاء كثيرا ببلاد المغرب ، بدليل أهتمام سليمان بن عبدالملك بأحوال البلاد ، والدليل علي ذلك قرار عزل موسي بن نصير سنة 86هـ الذي روعي فيه بالدرجة الاولي أن يكون من باب الاسترضاء والاحتواء للمغاربة ومشاعرهم ، ليتسني للدولة الأموية أن تسوس هذا الشعب ، علي الرغم من ان موسي بن نصير كان رجلا قديرا وقائدا ماهرا ومحاربا لا يشق له غبار ، قاد المسلمين في المغرب من نصر إلي نصر وبذل همة كبيرة في اداء اجبه لكنه ربما ريكون قد زاد في شدة حرصه علي أداء واجبه ، مما جعله ، يشتط في تصرفاته مع أهل المغرب . ففزعوا منه وتهاربوا من مساكنهم وبلدانهم أمامه ، وبذلوا الطاعة عن رهبة (70) فكان عزل موسي بن نصير لاحتواء تمرد المغاربة ومحاولة من الخلافة للسيطرة علي الموقف بدلا من تركه ينفلت من بين ايديهم تماما ، والدليل علي ذلك أن الخليفة يزيد

بن عبدالملك (101 –105هــ)(720 – 724م) لم ينقم علي أهل المغرب لقتلهم الوالي الاموي هناك وهو " يزيد بن أبي مسلم" ليس هذا فحسب بل أقرهم علي توليتهم محمد بن يزيد بدلا من الوالي المقتول الذي كان قد أعلن عن عزمه في أن يسير فيهم سيرة الحجا بن يوسف في أهل العراق (71) كما يذكر كل من الطبري وابن الأثير " إن الوالي المقتول (يزيد بن أبي مسلم) وضع الجزية علي رقابهم ، علي نحو ماكانت تؤخذ منهم وهم كفار (72) وذكر ابن عبدالحكم (73) (أن يزيد بن أبي مسلم قبض علي محمد بن يزيد القرشي فعذبه ، وجلده جلدا وجيعا " مؤلما" فاستسقاه فساقه رمادا وكان قد بني له في السجن بيتا منيفا فجعله فيه ، وجساه جبة من الصوف الغليظ وختمها بالرصاص) ويؤكد ابن الأثير رواية ابن عبدالحكم فيذكر أن يزيد بن أبي مسلم كان ظلوما غشوما وكان البربر يحرسونه ففقام علي المنبر خطيبا ، فقال : إني رايت أن ارسم حرس في أيديهم كما تصنع ملوك الروم بحرسهم .. فكان ذلك مما أوغر صدورهم عليه فدبروا قتله ، لأنه كما قالوا جعلنا بمنزلة النصاري (74) وبعد اختيار البربر للوالي محمد بن يزيد استقر الوالي الجديد في إفريقية وأحسن السيرة في أهلها وعدل بينهم (75) ومما يرويه ابن عذاري أن الخليفة الأموي " سليمان بن عبدالملك أمر الوالي الجديد محمد بن يزيد بالقبض علي عبدالله بن موسي بن نصير ، وتعذيبه ، ومصادرة أمواله ، وأموال بني موسي بن نصير حتي يؤدوا ثلثمائة ألف دينار (76) ولكن هذا الخبر اذلي يرويه ابن عذاري يتناقض مع ما أورده هو نفسه في موضع آخر من أن موسي بن نصير افتدي من سليمان بن عبدالملك بألف دينار ، فمن المستبعد أن يكون قد قام بتعذيب ىل موسي بن نصير ، والراجح أن ذلك تم في عهد بزيد بن أبي مسلم ومولي الحجاج وكاتبه ، بيد بشر بن صفوان ، ومصادرة أموال ذويه (77) ، نجد أن الأحوال في

المغرب " قد استقرت في عهد ولاية محمد بن يزيد ، ونعمت البلاد بالاطمئنان والعدل هذا الأمر أتاح لمحمد بن يزيد القيام بإقرار الأوضاع الداخلية بالمغرب الأقصي ، وبعث السرايا إلي ثغور إفريقية والجزر المجاورة لها (78) وقد انتهج محمد بن يزيد في أهالي المغرب سياسة رشيدة كان لها اثرها العميق في كسب أفواج جديدة من البربر إلي الإسلام ، فلما مات سليمان بن عبدالملك سنة 99 هـ ، استعمل الخليفة عمر بن عبدالعزيز تابعا جليلا وإماما زاهدا هو إسماعيل بن عبدالله بن ابي المهاجر دينار علي إفريقية سنة 100 هـ - 719م (79) كما بعث معه عشرة من التابعين أهل علم وفضل ودين وأمرهم أن يبذلوا جهدهم لتفقيه المغاربة في علوم الدين ، حتي يقوم إسلامهم علي أساس متين وقد قام إسماعيل بن عبيد الله ورفاقه بالواجب المنوط بهم خير قيام ، فكان لجهودهم أثرها الطيب في نفوس أهل المغرب فيما بعد ، وفي تعميق إسلامهم ، وتنقية إيمانهم ، وتنوير قلوبهم وعقولهم ، فلم يعد في المغرب علي غير الإسلام سوي جماعة من الروم وطائفة من اليهود " ومما يقال أن أهل المغرب تم إسلامهم في أيام هذه البعثة الطيبة وولاية حفقيد أبي المهاجر دينار (80) ويعلق المؤرخ المستشرق مارسيه Marcais علي إسلام البربر في خلال مدة تعد قياسية في قصرها فيقول : في اقل من قرن واحد اعتنق العدد الأعظم من أبناء أولئك المسيحيين الإسلام في حماس يجعلهم راغبين في اغتنام الشهادة وقد تمت النقلة بصورة نهائية خلال القرنين الأول والثاني الهجريين غير تاركة في بلاد المغرب سوي بقع ضئيلة ، اصبح حتي مجرد الاعتقاد في وجودها أمرا مشكوكا فيه ، وبينما كانت معظم البلاد التي انتشر فيها الإسلام ، تحتفظ بطوائف مسيحية ، كانت لها مكانة مرموقة في الدولة أحيانا ، مثلما هو الحال مع سكان جبل لبنان في الشام ، ونصاري مصر والمعاهدين المستعمرين في

الأندلس ، إلا أن وطن القديس أوغسطين (بلاد المغرب) لم يعرف لذلك نظيرا (81) فلابد من الإشارة إلي أن أهم نتائج الفتح الإسلامي كانت انتشار الإسلام في بلاد المغرب ، بأسرع مما انتشر به في غيرها من بلدان ، فقد كان المد الإسلامي في بلاد المغرب أكثر نجاحا ورسوخا ، واسرع سيرا ، وأعمق أثرا ، حيث انتشر في المغرب أسرع من انتشاره في مصر علي الرغم من سهولة فتح الأخيرة ، وقصر الدة التي استغرقها فتحها . وبذلك اصبح معظم المغاربة مسلمين ، واندمجوا في الحياة الإسلامية ، ويوضح السير توماس ارنولد سر اندفاع أهل المغرب إلي الإسلام نافيا أن يكون المسلمون قد أضطهدوا أهل البلاد المفتوحة دينيا فيقول : " أما ما يتعلق باضطهاد ديني حدث فعلا فإن المؤرخين لم يذكروا عنه الا شيئا قليلا ، كما أن بقاء الكنيسة المسيحية الوطنية المغربية في إفريقية ، بعد الفتح الإسلامي أكثر من ثمانية قرون كشاهد علي روح التسامح التي استطاعت وحدها أن تجعل مثل هذا البقاء ممكنا (82) وقد وجد في نهاية القرن السابع الميلادي عدد قليل من المسيحيين في تلك البلاد مما يدل علي عدم العنف والإكراه في دخول الإسلام ، وكذلك فإن المسيحية المحدودة الإنتشار في الغرب كان سلطانها قد ضعف بالتدريج في أغلب المناطق التي كانت قد استقرت بها ، فقد وجدت الكنيسة أن نفوذها تلاشي تدريجيا بحيث لم يمثل الكنيسة الإفريقية في سنة 1053م سوي خمسة أساقفة ، ثم تزايد ضعفها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، بحيث لم يعد باقيا من ذكراها ونفوذها سوي أطلال كنائس منتشرة في السهل الفسيح (83) ، وقد كان إقبال المغاربة علي المسيحية ضئيلا فلذلك لم يناضلوا من أجلها ولم تستطيع عقائدهم البدائية أن تقف موقف المنافس للدين الإسلامي ، بل حدث العكس إذ دخل الإسلام من كان قد دخل المسيحية ، وهكذا كان ضعف المسيحية

علي هذا النحو ، ثم قلة مقاومتها ، مما يسر للإسلام أن ينتشر ويتمكن من أن يعم البلاد كلها (84) ، وقد أحس المغاربة أنهم بإسلامهم يحصلون علي مكان مميز ويتساوون مع الفاتحين في الحقوق والواجبات وأنهم بذلك يحافظون علي أرضهم وميزاتهم المادية والمعنوية ، كل هذا دفعهم للإقبال علي الإسلام ، أما الروم فقد اعتبرهم المسلمون موالي ، وقد حرص موسي بن نصير علي أن يكون إسلام البربر عن رغبة واقتناع لذلك لم يتشدد في حكمه – وسعي إلي تفقيههم في الدين وترغيبهم فيه ، فينشيء لذلك المساجد في المناطق التي فتحها ، وكان منها مسجد أغمات هيلانة في أقصي المغرب (85) ، كما كانت حركة الفتح الإسلامي للأندلس شبه جزيرة ايبريا حافز لدفع المغاربة للدخول في الإسلام والمساهمة في الفتوح لنشر الإسلام والاستشهاد في سبيله فحارب أهل المغرب مع العرب ، جنبا إلي جنب واحتكوا بهم ، وخالطوهم وأفادوا منهم في الدين ، وقد اهتم الخلفاء وولائهم بأمر المغرب مما دفع لانتشار الإسلام بصورة كبيرة وخاصة في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز (99 – 101هـ) (717 – 720 م) الذي كان يريد أن يعم نور الإسلام جنبات الكون كله ، وأن تعمر به قلوب الناس وتضاء بصائرهم بهداه (86) وحتي يتسني له ذلك قام بتعيين اسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر دينار علي بلاد المغرب سنة 100هـ ليدعو من بقي من أهل المغرب إلي الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما ارسل التابعين لتعليم الناس أصول الدين الحنيف ، فاقاموا في المدن المغربية وأقاموا بها المساجد وجعلوها منارات هدي للإسلام يقصدها الناس من كافة الأقاليم ، وقد علم هؤلاء التابعين كثير من أهل البلاد في هذه المساجد ثم يعود هؤلاء إلي مناطقهم ويعملوا هم أنفسهم علي تولي أمر نشر الإسلام كما نجدهم يتولوا وظائف الامامة والقضاء وما أن بدأ القرن الثاني الهجري

حتي أضحي المغرب قطرا إسلاميا ، وقد لعب الرعيل الاول من التابعين دورا هاما في نشر الإسلام فقد خرج منهم دعاة وهبوا أنفسهم للدعوة وهؤلاء يخرجوا جماعات إسلامية تتحول بدورها إلي مراكز تنتشر فيها أو منها أنوار الدعوة ونجد أن القرآن الكريم نص علي مبدأ هام هو احترام عقيدة غير المسلمين كما نجد أن الرسول صلي الله عليه وسلم سار علي هذا النهج فكان له أكبر الاثر في انتشار الإسلام فيما بعد خاصة وأن الإسلام كان قد ظهر في عصر مليء بالاضطهادات الدينية ، والمحاولات العنيفة من جانب الدولة البيزنطية وأصحاب المذاهب المسيحية لإرغام الناس علي الدخول في دينهم ومذهبم ، أما المسلمين فكانوا يعرضون الإسلام دون إكراه ولذلك تاقت النفوس للإسلام وأقبلت عليه وهذا من أهم ميزاته التي حببته إلي أهل البلاد المفتوحة وقد حاول بعض القساوسة الإساءة إلي الإسلام ونبيه صلي الله عليه وسلم ومقدساته وذلك لخلق مشكلة دينية عندما ينساق السملمون لهذا التصرف ، ولكن تسامح المسلمين لاسيما القضاة أدي إلي زيادة الإقبال علي الإسلام .

وهناك من لم يكن داعية وإنما يخرج بالتجارة ويرحل إلي بلاد الكفر طلبا للمعاش ، فإذا التقي بغير المسلمين دعاهم للإسلام والإيمان بما يؤمن به فيتبعوه ويصبحوا مسلمين (87) كذلك كانت القدوة الطيبة والأسوة الحسنة من أهمل مداخل الدعوة وأوفاها بالغرض ، وعليه فإن الإسلام قام بنشر نفسه بمبادئه السامية واجتذب قلوب الناس ، فأسلموا حبا في الإسلام ، وشغفا به ، واعجابا بتعاليمه ، والتماسا للرحمة والهداية من الله سبحانه وتعالي في الأخرة فقوة الإسلام النابعة من تعاليمه هي التي غلبت كل ديانة أو قوة سواه واعتنق الناس طوعا لأنها الطريقة التي دعي بها الله سبحانه وتعالي " لا أكراهِ في الدين قد تبين الرشد من الغي (88) وقد قال الراهب القبطي يوحنا النقيوسي شيء من هذا القبيل ، إذ أبدي اسفه

وتألمه لعدم لجوء العرب إلي القوة في فرض الإسلام ، لأنهم لو كانوا فعلوا ذلك ولو مرة واحدة لزاد تثبت الاقباط بعقيدتهم ، علي مذهب العناد ، ورفض كل مايفرض بالقوة ، ولوجد الغسلام هذا الطريق الميسر إلي القلوب في كل بلد دخله مسدودا (89) ، وقد استغرق فتح المغرب مدة تزيد عن الستين عاما (23- 87 هـ) وهي مدة طويلة إذا قارناها بالفتوحات الإسلامية للبلاد الأخري ، ولعل السبب في ذلك مناعة البلاد وشدة مراس أهلها وشجاعتهم في القتال وهناك عوامل أخري ترجع للمسلمين أدت إلي إطالة أمد الفتح وهي انقسام المسلمين علي انفسهم في فترة الفتنة الكبري والتي أودت أحداثها بحياة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وما نجم عن ذلك من توقف لحركة الفتح الإسلامي توقفا كاملا في كل الجبهات ، هذا إلي جانب الغارات البحرية التي شنها البيزنطيون علي القوات الإسلامية في محاولة منهم لوقف تقدم المد الإسلامي في الجبهة الغربية بلاد المغرب وذلك في وقت كانت فيه خبرة المسلمين بالحرب البحرية لاتزال قليلة (90)

2- انتشار اللغة العربية :

لقد نتج عن انتقال أهل المغرب إلي الإسلام ، انتشار اللغة العربية لغة القرآن الكريم وثقافتها ، في هذه البلاد ، خاصة وأن الفتح الإسلامي كان فتحا سلميا مما أدي إلي أن يكون فتحا حضاريا وثقافيا ، فنتج عن ذلك انتشار لغة وافكار وعادات وتراث المسلمين ولم يتم ذلك عن طريق القهر والتسلط ولكن بالاختلاط والاندماج الذي تم بين الفاتحين وأهل البلاد ، وذلك كان علي عكس حال أي غزو سابق علي الفتح الإسلامي في بلاد المغرب ، ولذلك فلا عجب إذا قام الفتح الإسلامي علي الثقافة والعلم والمعرفة والنور في يوم الفتح نفسه (91) وقد كان لسياسة الدولة الإسلامية في البلاد المفتوحة عامة عظيم الأثر فنتج عن ذلك تحطم

الحواجز المصطنعة ، التي كان قد فرضها البيزنطيون في بلاد المغرب بين السكان في المناطق الساحلية الداخلية ، وقد أدي هذا الوضع الجديد بعد الفتح الإسلامي إلي نهوض الشعر العربي وتاثره بالحضارة الإسلامية فأصبح ذا طابع قوي ومتحضر ولم يكن ذلك ليتم لولا السياسة التي سارت عليها الدولة الإسلامية ورعتها وأوصت عمالها بتفنيذها في بلاد المغرب وقد ترتب علي هذا نتائج عميقة الاثر في تاريخ وحضارة بلاد المغرب ، كما اكتسبت ثقافة أهل المغرب الصبغة العربية الإسلامية الواضحة ، فقد أخذ أهل المغرب بأسباب الحضارة الإسلامية ، سارت حركة إنتشار الإسلام واللغة العربية في فترة ولاية موسي بن نصير جنبا إلي جنب مع حركة الفتح الإسلامي ونجد أن أهل المغرب قد اتصلوا بالمسلمين وخالطوهم وأفادوا منهم في الدين واللغة والثقافة العربية ، وقد عملوا بدورهم علي نشر الإسلام والثقافة العربية ، وكما أقبل البربر علي الإسلام اقبلوا كذلك علي اللغة العربية التي وجدوا فيها أداة طيعة تمكنهم من التفاهم فيما بينهم خاصة لاسيما وقد كانت لهم لهجات متعددة ، وكانت اللغة العربية مكتوبة لذلك استطاعوا ان يسجلوا تراثهم وأفكارهم وكان إقبالهم علي اللغة العربية كبيرا ، والدليل علي ذلك ما ترويه لنا كتب الطبقات من رحيل الكثيرين منهم منذ ابتداء القرن الثاني الهجري إلي الشرق للاستزادة من العلم والتثبت من اللغة العربية وقد حرص أهل المغرب علي تعلم اللغة العربية وذلك لدراسة ما جاء في القرآن الكريم خاصة مايتعلق بالأحكام من عبادات ومعاملات وكل الأمور الضرورية للمسلم والمسلمة سواء في الحياة العامة أو الخاصة ، وأصبحت اللغة العربية هي المتداولة ، ولم تكن ابدا اللهجات الأخري لغة حضارة كاللغة العربية (92) ، ولذلك كانت المساجد التي تسسها المسلمون بمثابة مراكز علمية ومدارس للتحصيل العلمي الديني والدنيوي ، قبل أن يعرف

العالم الجامعات والمدارس (93) ، ففي الوقت نفسه انتشر الإسلام واللغة العربية مما جعل من الطبيعي أن تتسرب الثقافة العربية الوافدة إلي مدارس القيروان وغيرها من مدارس إفريقية ، في طريقها المرسوم نحو التفوق والازدهار (94) ، وكان من الضروري أن تواكب اللغة العربية حركة انتشار الإسلام ليتمكن من أسلم من المغاربة ، من قراءة القرآن ، وأداء الشعائر الدينية ، وفهم تعاليم الإسلام وعلي ذلك يكون أهل المغرب قد استعربوا واكتسبوا ما تفيده تلك اللغة من تفكير وتعبير فصارت لهم نفس العقلية العربية ، كما وجد فيهم الفقهاء والشعراء والخطباء ، ونشأت بينهم المذاهب الإسلامية ، سياسية ودينية كالشيعة والخوارج والمعتزلة (95) وصارت حياتهم ومعاملاتهم قائمة علي أساس مباديء الإسلام وتعاليم الشرع الحنيف ، وهكذا فإن أخذ المغرب للإسلام واعتناق أهله له أدي إلي انتشار اللغة العربية والتي انتشرت بصورة كبيرة وسريعة واستطاعت منافسة اللهجات المحلية والانتصار عليها لتصبح هي اللغة الأساسية فأصبحت لغة العلم والحضارة دونت بها أفكار وعادات ومعتقدات أهل المغرب وقد ظهر كتاب وشعراء ونقاد ومؤرخين وعلماء في كافة المجالات أخذوا اللغة العربية كلغة أساسية لذلك كان كل إنتاجهم من علوم وفنون وأدب وشعر باللغة العربية متاثرين بالثقافة الإسلامية العربية والتي حرص المسلمون علي نشرها في كل البلاد التي فتوحها والشاهد علي ذلك أن كل العلوم والانتاج الثقافي والحضاري والديني والعلمي في بلاد المغرب منذ الفتح وإلي اليوم أصبح بدون باللغة العربية وكانت الحضارة الإسلامية المنبع الاساسي الذي اشتق منه .

لذلك كانت أهم نتائج الفتوحات الإسلامية للمغرب هي انتشر الإسلام بصورة سريعة وسلمية بين أهل البلاد والذين اصبحوا هم أنفسهم دعاة لهذا الدين والمدافعين عنه والعاملين علي نشره وحمل لواء الجهاد لنشر

الدعوة وفتحهم ومشاركتهم في فتح الاندلس أكبر دليل علي هذا الامر كما أنهم اخذوا اللسان واللغة العربية لاسيما وهي لغة القرآن الكريم ، ولابد لنا من ملاحظة أن اكبرَ داعية للإسلام هو الإسلام نفسه بعقيدته البسيطة الواضحة ، وشرائعه بما فيها من فضائل تجعهل الناس شديدي الحرص علي الإسلام ، الذي يمنحهم كل شيء دون أن يطالبهم بشيء سوي عبادة الله الواحد الاحد وابتغاء مرضاته ، لذلك فإن جميع العقلاء يستجيبون للإسلام أما الذين لا يستجيبون ويعاندون فقد أعفانا الله سبحانه وتعالي من جدالهم فقال سبحانه وتعالي في سورة الكهف " ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل ، وكان الإنسان أكثر شيء جدلا وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدي ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الاولين ، أو يأتيهم العذاب قبلا ، وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ، ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا اياتي وما أنذروا هزوا (96) والاعتماد الاكبر في نشر الإسلام علي ربنا سبحانه وتعالي الذي يقول " بل نقذف بالحق علي الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (97) ويجب أن نلاحظ أن انتشار اللغة العربية وثقافتها في بلاد المغرب لم يتم بمعزل عن انتشار الإسلام فاينما كان الإسلام حلت معه لغة القرآن وأينما استقر المسلمون نشروا ثقافتهم القائمة علي تعاليم الإسلام السمحة ومبادئه الراسخة لذلك كان انتشار الإسلام يتبعه انتشار اللغة العربية وثقافتها .

بعد أن تم فتح المسلمين للمغرب استقروا وشيدوا مساجد للعبادة وتلقي العلم ، وقد تعددت العلوم والمعارف لدي العرب المسلمين في المغرب وكانت ساحات المساجد هي مراكز التعليم الاولي ، فقد كان ضمن جيوش الفتح بقايا الصحابة والتابعين عملوا علي تفقيه الناس بأمور دينهم فبدأ التعليم .

وبدا ظهور الشعراء فتناولوا الوان الشعر المشرقي المعروفة كالمدح والهجاء والفخر والحماسة وكانت خصائص الفن الادبي هي نفس خصائصه في الشرق الميل إلي الايجاز وقوة العبارة أكثر من تجميلها مع الخلو من المقدمات الطويلة وكان الاعتماد علي تقليد المشارقة لأن العصر عصر قلق وعدم استقرار (98) وظل النثر في هذه الفترة يحث علي الجهاد ، وانتقلت صناعة الورق إلي المغرب فكان لها أبلغ الأثر في النهضة العلمية الثقافية (99) وهناك عدة عوامل شجعت علي النقل الحضاري من العراق إلي المغرب فمثلا كان الأمراء يرسلون وفود إلي المشرق لنقل العلوم والآداب والعودة بما تحصل لديهم كما كانت هناك رحلات علمية قام بها كثير من طلاب العلم الي المشرق للأطلاع علي أصول العلم من منابعه ومكث بعضهم مدة طويلة ، عاد بعدها يحمل علم وعادات المشرق وكتبه وتقاليده (100).

كذلك ساعدت الرحلات التجارية وهجرة علماء المشرق إلي المغرب نتيجة لاضطراب المشرق فقد وفد كثير من العلماء منهم علي سبيل المثال محمد بن موسي الرازي والذي اشتهر ابنه احمد بكتابة التاريخ (101).

وقد كان للتيار العراقي أثر في حركة الاستعراب حيث اقبل المغاربة علي اعتناق الإسلام ودراسة ثقافته ولغته .

وفي أيام المرابطين تمتعت الحركة الأدبية في هذه الفترة بالرعاية والقوة واعتمد المرابطون علي الادباء والعلماء في تسيير اعمالهم فكان عبدالرحمن بن اسباط وابن القصيرة من عمال يوسف بن تاشفين وكتابه وظهر الفتح بن خاقان الأشبيلي وقد تمتع الكتاب بمكانة مرموقة في بلاط المرابطين وحملوا ألقابا فخمة مثل ذي الوارتين وظهر اللغوي أحمد بن عبدالجليل التدميري (102).

وقد لاحظت من خلال اطلاعي أن حياة الجد المرابطية قد اثرت في مستوي الحياة الأدبية بوجه خاص فاختفي الغزل وطغي في ذوق المرابطين حتي قيل أنهم ليسوا عربا والواقع ظل كل شعراء الطوائف ينسجون علي المنوال القديم كما كانوا فقد استطاع الشعر أن يكيف نفسه وفق المعطيات الجديدة ، ولذا تقدم دور الفقهاء وتراجع دور الأدباء أيام المرابطين كتطور منطقي لنمط حياتهم ، وإن ظهر علي أيامهم فن المقامات فظهر أبوطاهر السرقسطي وكتابه " الخمسين مقامة اللزومية " وقد عارض مقامات الحريري ومحارب بن محمد الوادي أشي ومقامته في مدح عياض . ومحمد القرطبي ومقامته العياضية الغزلية (103).

ولكن نجد انشغال السملمين بالفتح وتنظيم أمور البلاد بعد أن دانت لهم لم يسمح لهم بالاهتمام الكافي بأمور الثقافة ومحاولة ادخالها إلي المغرب خاصة وقد دامت الحروب فترة طويلة قاربت السبعين عاما حكما أخضعوا فيها أهل المغرب نجدهم يحاربونهم من جديد وإن اهتموا بذلك لاحقا ويظهر بوضوح في بلاد الأندلس التي قاموا بفتحها .

الهوامش :

1- السيد عبدالعزيز سالم : المغرب الكبير ج 2 دار النهضة العربية بيروت ، لبنان ، 1981م ص 125

2- جوليان ، اندرية ، افريقيا الشمالية ، ترجمة محمد مزالي ، الدار التونسية 1978م ص 2

3- بل ، الفرد الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ، ترجمة عبدالرحمن البدوي ، ط دار ليبيا ، بنغازي 1969م ، ص 38

4- جوليان اندريه ، المصدر السابق ، ص 12

5- المصدر السابق ، ص 13

6- السيد عبدالعزيز سالم ، المرجع السابق ، ج 2 ص 126

7- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مادة إفريقية ، ط دار صادر 1986م ، ص288

8- بل الفرد ، المصدر السابق ،ص 41

9- اندريه جوليان ، المصدر السابق ج 2 ص 29

10- ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر بولاق مصر 1284هـ ، ص 98

11- ابن ابي دينار ، القيرواني المؤنس في اخبار افريقية وتونس مطبعة الدولة تونس 1869م ، ص 195

12 ابن عبدالحكيم ، فتوح مصر والمغرب والأندلس ، تحقيق عبدالمنعم عامر القاهرة 1966م ص 4 .

13- نفسه

14- Dawghty , charis , m.wandering in Arabia , 78–London 1826

15- ابراهيم بيضون ، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري ، دار النهضة العربية ، بيروت 1979م ، ص 74

16- سعد زغلول عبدالحميد ، تاريخ المغرب العربي ج 1 منشأة المعارف الإسكندرية ، ص 137

17- ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ط بدون 1952م ص 9
18- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ط 3 المطبعة الأزهرية القاهرة 1301هـ ص 11
19- ابن عبدالحكم ، المصدر السابق ، ص 231
20- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ط ص 11.
21- البلاذري ، فتوح البلدان القاهرة ، 1218هـ ، ص 266
22- المصدر السابق ، ص 269
23- A.Eyman , the literature of Ancient Egyptian London 1927 pp 45–46
24- خطاب ، محمود قادة الفتح الإسلامي ، قادة فتح المغرب ، ط بدون 1966م ص 54
25- بيصون المرجع السابق ، ص 23
26- نفسه
27- زغلول ، المرجع السابق ، ص 137
28- ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 185
29- الطاهر احمد الزاوي الفتح العربي في ليبيا ، دار المعارف 1963م ص 68
30- شوقي الجمل ، المغرب العربي الكبير ، طبعة الأولي ، مكتبة الانجلو المصرية 1977م ص 7
31- ابراهيم بيضون ، المرجع السابق ، ص 30
32- العبادي ، المرجع السابق ، ص 245
33- نفسه
34- ابن عزاري المصدر السابق ج 1 ، ص 17
35- البلاذري ، المصدر السابق ، ص 327
36- السلاوي ، الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصي ج 1 تحقيق عبدالمنعم عامر القاهرة 1952 ، ص 36
37- حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، القاهرة 1947م ، ص 39

38- ابن الاثير ، المصدر السابق ج 3 ص 79
39- بيصون ، المرجع السابق ، ص 177
40- نفسه
41- ابن عذاري ، البيان ، المصدر السابق ، ص 22
42- ابن عبدالحكيم ، المصدر السابق ، ص 250
43- بيصوت ، المرجع السابق ص 186
44- ارشبيالد لويس ، القوي البحرية التجارية في المتوس القاهرة 1920 – ص 99
45- المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية القاهرة 1951م – ص 29
46- شكري فيصل ، حركة الفتح الإسلامي في القرن الاول الهجري دار الملايين بدون 1952م ص 172
47- المالكي ، المصدر السابق ص 36
48- ابن عذاري المصدر السابق ج 1 ص 18
49- العبادي ، المرجع السابق ، ص 235
50- العدوي ، الامويون والبيزيطيون ، ص 254
51- السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، الاسكندرية 1978 ، ص 45
52- الطبري الامم ، المصدر السابق ، ج 4 ص 22
53- ديان / صابر ، الدولة الإسلامية في حوض البحر المتوسط القاهرة ص 17
54- عنان ، عبدالله ، دولة الإسلام في الاندلس ، مصر 1969م ص 26
55- نفسه
56- مؤنس ، الإسلام الفاتح ، سلسلة دعوة الحق ، مكة العدد 4 1401 هـ ، ص 10
57- سورة البقرة ءية 256

58- itte – Philip The origin of Islamic states London Ĭ , 1953 P 36

59- مؤنس ، عالم الإسلام ، مرجع سابق ص 51

60- ابن خلدون ، العبر ، ج 2 ص 108

61- ابن الاثير ، المصدر السابق ج 3 ص 184

62- ابن عبدالحكم ، المصدر السابق ص 72

63- Hell Joseph , The Arab civilization Cambridge 1920 . P207

64- مؤنس ، المصدر السابق ، ص 285

65- ابن عذاري ، المصدر السابق ج 1 ص 30

66- المصدر السابق ج 1 ص 38

67- المصدر السابق ج 1 ص 42

68- مؤنس المرجع السابق ص 58

69- ابن عبدالحكيم ، المصدر السابق ص 204

70- ابن الاثير اسد الغابة ج 5 القاهرة 1280 هـ ص 38

71- الطبري الامم ج 5 القاهرة 1934 ، ص 103

72- ابن عزاري ، المصدر السابق ص 288

73- ابن عبدالحكم المصدر السابق ص 279

74- ابن الاثير ، المصدر السابق ج 4 ، ص 182

75- ابن عذاري ، المصدر السابق ج 1 ص 44

76- المصدر السابق ، ج 1 ص 48

77- السيد عبدالعزيز سالم ، المغرب الكبير ج 2 الدار القومية 1966م ص 290

78- السيد عبدالعزيز سالم ، المرجع السابق ج 2 ص 292

79- Marcais Q, Le Berberie Musulmare Eti , orientau , moyenagec , p. 36 paris 1964

80- Gibbo : Hist of Dedine and Fall of Rom Emp London 1881 p115

81- دياب ، صابر تاريخ المغرب والاندلس القاهرة 1980م ص 39

82- ابن عذاري ، المصدر السابق ج 1 ص 39

83- السيد عبدالعزيز المرجع السابق ج 2 ص 392
84- حسين مؤنس ، الإسلام الفاتح ص 10
85- بيضون المرجع السابق ص 15
86- السيد عبدالعزيز المرجع السابق ج 2 ص 291
87- سورة البقرة آية 256
88- ابن عذاري ، المرجع السابق ص 331
89- العبادي ، المرجع السابق ص 49
90- السيوطي ، تاريخ الخلفاء ج 3 القاهرة 1964م ص 23
91- ابن الآبار ، الحلة السيراء ، القاهرة 1963م ص 175
92- Arnold – sir Thomas , w , the preaching of Isla London P.21
93- ابن عبدالحكم المصدر السابق ص 45
94- ابن عذاري البيان ، المصدر السابق ، ص 176
95- سورة الكهف ، الآيات 54 – 56
96- سورة الانبياء الآية 18
97- سيد قطب ، دراسات إسلامية القاهرة 1386هـ ص 131
98- جوليان اندريه ، المصدر السابق ص 71
99- ابن عذاري ، المصدر السابق ص 151
100- السامرائي ، تاريخ العرب وحضاراتهم في الاندلس ، العراق ، 1961م ص 345